

الأغنية والسكين

١٩٧٤-١٩٧١



القنديل

كلُّ مَنْ مرَّ، وعادُ
وشمَ البحرَ بوشمِ العارِ،
لا تنفكُ عيناكُ تنثانِ
بذورَ الفرحِ الظمآنِ في واحةِ قلبي .
- قلتُ للشباكِ .
يأتيني من الغصنِ المجاورِ .
وجعُ يفصلُ عن وجهي جبيني .
قال ذاك الرجلُ العاشقُ :
إن اقطعُ غصونَ الشجرِ
المرخاةُ أمنحكِ سكينه .
قلتُ . لن يهجرَ ذاك الغصنُ
جدعَ الشجرِ المرخى على وجهِ حزيرانِ
وروداً وصفائرُ .

قال لي الجنديُّ .
دَفَقَتِ عَيونَ الجُدُرِ الظمأى
بهذا الوجعِ القاتلِ ،
من علّمَ عينيكِ نواحَ الليلِ
للمنّا حصادَ الموسمِ الفاتتِ
أطفالاً ذبيحةً .
وانتظرناكِ طويلاً تُشعلينَ الشمعَ في الراياتِ ،
أهٍ ، كانتِ الأنجمُ شلالاتِ ضوءٍ
تصلُ الجرحَ
بهذي الأرضِ ،
نشوى كنتِ . . .
في الساحةِ تنثالينَ حزناً همجياً .
يُشرعُ الفجرُ الكوى فوق التلالِ .
وتخافينَ ،
تخافينَ من الفرحةِ تأتيكِ سلالُ
الحزنِ تبتاعينَ أقماراً كحيلةً .
لصبايا الحيِّ ،

للسوق الذي يخجلُ من عينيكِ وردُهُ .

.

«أيها الوجهُ الذي أشعلَ تاريخَ الخُزَامِي .
شربتُ حتى الثُّمَالَةُ .

هذه الأرضُ التي أشعلتَ قنديلكَ فيها
والتي فيأتها الحبُّ وشجوةَ الأمنياتُ
والتي تشتاقُ في المنفى إليكُ .
مرةً في العمرِ خُذْهَا . ،
مرةً خذني إليكُ» .

..

قال ذاك الرجلُ العائدُ .

كالوجدِ الذي يبتلُّ في عينيكِ كانَ
الليلُ في سيناءَ ،

خُضْرًا كانت الأنجمُ . حُمْرًا ،

كان وجهُ اللهِ يدنو . ثم يدنو .

ثم ينأى .

كانت الصحراءُ تعدو .

كان رملُ الحلمِ يبتلُّ بنارِ الوجدِ
يعلو الهمسُ ،

يعلو .

آه ، لو أملكُ في عمانَ زهرةً .

وعلى البحرِ موانيءُ .

آه . . لو أحلمُ . مرةً .

أنَّ لي واحةً نخلٍ في الجزيرة .

آه لو أشهدُ عينيكَ

على حقلِ نُصارٍ في الجزيرة .

لدخلتُ الكونَ من بوابةِ الشمسِ ،

ولكنُ . !

**

سَعْفُ بغدادَ يُظِلُّ الفلواتُ .

وجهُ بغدادَ وحيداً يذرعُ الدربَ ،

وحيداً يُشرعُ الحزنَ ،

وبغدادُ على الشطِّ تصيرُ اثنينِ

بغدادُ تصيرُ الربوةَ المشرعةَ الراياتِ

فوق البحرِ ،
بغدادُ منارهُ .
وأنا أهجرُ بغدادَ على جُنحِ بشاره .
وأنا آتيكَ . لا ،
لا بدَّ ألقاكَ جميلاً ونقياً .
وأنا أشرعُ راياتي لعينيكَ فصولاً عجزية
وأنا أزرعُ في شرفة قلبي
وجهكَ الغائمَ ،
أرويه بحبي .
أه منْ يرحمُ من عينيكَ قلبي .
أه منْ يرحمُ قلبي !

*

الرحلم

وعيناك نافورتان ألملم أطراف ثوبي ،
يجئُ الندى والنداء . .
ألملم شعري يجئُ الندى والنداء ،
فيشعلُ في عمق قلبي ،
الأسى ، الشجر ، الذكريات .
تصيرُ الغيومُ براكينَ تندلعُ النارُ فيها
فتغدو السماواتُ مرجلَ شوقٍ ،
وتسقطُ أوراقنا في الهشيم .
النهاياتُ وادٍ تطلُّ عليه نوافذُ مكسورةُ الجفنِ
قالتُ لقافلة الذاهبينَ :
خذوني .
فما اهتزَّ فيهم جوابٌ ،
تعلمتُ أنَّ وعودك دينٌ

وَأَنَّ الرَّحِيلَ بَعِينِكَ دَيْنٌ ،
وَأَنَّ هَوَاكَ عَذَابٌ

*

أَقُولُ . أَجِئُ . .

فِيكَبُرُ رَجْعُ صَدَايَ ، وَيَمْتَدُّ نَحْوَكَ
نَهْرِينَ يَخْتَضُّ رَمْلٌ شَوَاطِيهِمَا بِاشْتِيَاقٍ ،
فَأَمْسِكُ قَلْبِي :

هَذَا مَرَابِعُ نَجْدٍ ،

وَأَقْبِضُ كَفِي :

هَذَا رَمَالُ الْقَنَاةِ ،

وَأَغْمِضُ عَيْنِي .

تِلْكَ شَوَاطِي حَيْفَا

وَيَسْقُطُ وَجْهَكَ فِي قَاعِ قَلْبِي صَرِيحاً ،

وَأَسْقُطُ صَرَعَا

وَأَوْقِنُ أَنَّ اللَّقَاءَ اغْتِرَابٌ .

*

تَجِئُ إِلَيَّ .

يفتّح قلبي شرفاته ،
والرياضُ تصفّقُ أغصانها ،
والطيورُ تموتُ اشتياقاً ، وتُبعثُ .
أبتها الغازلاتُ غلائلَ عُرسي .
إليكنّ وجهي رهاناً ،
سأزرعُ لي فُلةً في الجليل وأتي
وأزرعُ لي نخلةً في عيون الفيافي
وأكملُ مرسومَ عُرسي
فمهري بين يديّ
وأبوابك الليلَ تُشرعُ للرائحين ،
وها أنا أحملُ وجهي إليك
وأمضي إلى الحلم المستحيل .

قمر العراق

مُشرَعٌ بأبك قلبي .
والروائيُّ الذي حدّث عن شوق المدينة . . .
أسلم اليومَ إلى الجانينَ . .
تفاحةً حبي .

*

مُتطاوُلُ شجرِ الموائى ،
عرّشتُ فيه الحمائمُ .
خيّم الرملَ المصوّرَ في صحارى العمرِ ،
أضحى واحّةً بمشارف البيداء ضاربةً ،
مطرزةً الحواشي ،
من يُداوي الشوقَ ، يا وطنَ التمزّقِ ،
أصدأ البعدُ العيونَ السودَ ،
أصدأني ،

ولولا أنني امرأةٌ لكنتُ
الآن أغفو تحتَ آخرِ سرورةٍ بشمالكِ النَّائي ،
وآخرِ نخلةٍ بجنوبكِ الغافي على فُرشِ الحريرِ ،
أقولُ وأسفا .
ولكنَّ العشيرةَ قلدتكِ وسامها الشرفيَّ
قالتُ :

لو يُمسُّ تدوخُ أعراضُ الرجالِ ،
تُزلزلُ الدنيا ،
وتنهارُ الهياكلُ ،
أه . لكنني اقتحمتُ الليلَ ،
عانقتُ الهلالَ ،
وقلتُ يوماً ما ستصبحُ كاملاً ،
ونسيتُ كلَّ الأمسِ إلا قبلةً ظلتُ على شعري ،
وشيئاً من ندي ،
وغرامَ أغنيةٍ زرعتُهُ في سفوحِ القلبِ ،
أعطيتُ السنابلَ للرعاةَ ،
وقلتُ للآتينَ أفراحُ القطافِ . لكم ،

وها أنا جئتُ ،
لم اسقطُ بأدرانِ القبيلةِ ،
هاكَّ وجهي انثرهُ في دربِ الجموعِ لكي تجيئَ ،
أنثره في دربِ الحداةِ ،
وضُمَّ قلبي في لياليِ البردِ ،
آه .. ضمَّ قلبي ؛ !!

*

متخشبٌ في صالةِ التشريحِ وجهكُ ،
والأطباءُ الأجانبُ يعقدون مجالسَ التحقيقِ ،
دانٍ . بابُ حيفا مشرعُ الراياتِ .
قال البرتقالُ . هلا .
وقال البحرُ . يا فرحي .
تعبت من التغرُّبِ ،
هاكمو كلِّ المحارِ ،
اريد أعينكم أضُمَّ الآن تاريخَ انتمائي . !!

*

- عروسةَ الفراتِ .

تزفك الحاشية الأميرة .
يركع حول الموكب الدعاة .
يقبلون كفك النقية .
نبوخذ العظيم في بغداد . .
وخطوة واحدة وتفتح النوافذ العvisية .
وتدخلين كعبة الأجداد . . .

...

...

عينك مزهرتان .
أه أشتهي أن تشعل القنديل ثانية ،
تُطل عيونك السوداء من تشرين لاهبة ،
أضمك مرة أخرى وأزهو ،
كنت أزهو .
أيها الوجه العراقي ،
الطريق إلى دمشق
مريضة بالشوق ،
يشعل وجدها الورد الذي ينهل في عينيك ،

أمس سمعت أغنيةً
قطار الشوق جاء بها إليّ ،
سمعت مرثيةً
قطار الحزن جاء بها إليّ ،
سمعت صوتك لاهثاً بالرفضِ ،
أه ، ضمنت سعفك مرة أخرى ،
وأشرعتُ النوافذ للنهارِ ،
بساحة الجولان يرقص كان وجهك
ظامناً كجذور قلبي ،
كيف أسكتك الدعاءُ ،
السادة الجوعى ارتموا
حولي بباب الفجرِ ،
أه تقاسموا وجهي ،
ولم أجزع ولكنني رحلتُ ،
رحلتُ في ليل العذاب لكي أراكُ ،
أراكُ في عمانَ ،
في ليل الجزيرةِ ،

مرّةً في العمرِ .
يا قمرَ العراقِ !!

*

الأقنعة

حمامٌ جريحٌ يظللُ رأسي
حمامٌ ذبيحٌ يطيرُ بيّتي .
ينزُّ صراخاً ، صراخُ .
ويمطرُ دمُ .

*

وأنتَ حبيبي . . .
زرعتُ بصحراءِ عمريَ وجهكَ ،
صارتُ سمائيَ موطنَ للبرقِ ،
صار الخزامى نحيلاً ،
وصار السرابُ ندىً والنجومُ . . .
تدانتُ تُظلُّ عذاباً رهيفاً يجرحُ قلبي ،
. . .
وأنتَ حبيبي . .

هجرتُ السماءَ ببُعدِكَ حتى تناءتُ ،
فصلّى الكبارُ وصلّى الصغارُ ،
وعادتُ موشحةً بالحدادِ
ومُتربةً بالبعادِ ،
فأيقظتِ الحلمَ فيّ ،
وأيقظتِ الشوقَ فيّ ،
وعدتَ جميلاً كما كنتَ قبلُ
كما أنتَ في المرةِ التالية .

*

أراكُ ، أراكُ . . .
بوجهِ الكبارِ ، ووجهِ الصغارِ
بكلِّ كتابٍ جديدٍ ،
وكلِّ كتابٍ قديمٍ .
وأقرأ وجهكَ بينِ سطورِ كراريسِ طالبتيِ الذاهبةِ
وطالبتني الآتيةُ ،
وأشعرُ أنكَ تلهثُ تحتَ ارتعاشةِ جلدي . .
وتحتَ انتفاضةِ شوقي . .

وأشعرُ أنكَ تلغو بطيَّاتٍ شعري
وتعبثُ في الليلِ بالكُتبِ والقلبِ والأقنعةُ .

*

وحين أضيعُ ،
وحين تضيعُ القراراتُ ، ابحثُ عنكَ ،
وأبحثُ ، ابحثُ عنها
وأتعبُ :
يطلعُ وجهُكَ في راحتيَّ ويبسمُ :
هذا القرارُ الأخيرُ .

*

أسائلُ وجهكَ . . .
عمَّن يخلصُ قلبيَ من وهجِ شمسكَ ،
من وجعِ الشوقِ ،
شوقِ البنفسجِ وهو
يفتتُ أعصانَ روحي ،
ومن ليلةٍ يكبرُ اسمُكَ فيها ،
فيُنشدُ كلُّ المغنينِ لحنَ اللقاءِ .

.....

تعال .

أحسُّ رداءك خيمةً وعدِّ تضمُّ الخليجَ
وشطاً المحيطِ ،

وأبصرُ كفك تُشرعُ قلبي فيشتعلُ الشرقُ ،
خذني إليك . . .

يُسرِّحُ هذا المساءُ غلائلهُ . . .
فوقَ وجهي ووجهك ،

خذني إليك

تُسرِّحُ هذي الظلالُ صفائرها فوقَ
وجدي ووجدك ،

خذني . . .

وينطفئُ الليلُ في الجولةِ الحاسمةِ .

الحضور في البصرة

وأصبحُ في النفس الأخيرِ ،
تعالَ يا حلوَ العيونِ ،
تعال يا ذا القامةِ الفرعاءِ
يا وجهاً أحلَّ دمي .
تعالُ .

*

متلفَعُ بالنخلِ وجهُكِ
حينما اهتزتْ روابي الليلِ
كنتِ جميلةً تهتزُّ بينَ مصارعِ العشاقِ ،
آه . . كنتِ ذائبةً بحباتِ الندى المطلولِ
فوقِ جبينكِ الزاهي ،
وفي وجعِ الغروبِ . . .
وجدتُ عاشقكِ القديمِ يحاورُ الدنيا ،

ويغزلُ من حريرِ الشعرِ شالاً ،
كي يتوّجَ شعركَ المنسابَ ،
أيتها الأميرةُ .

في الخليجِ وجدتُ وجهكِ طافياً
فممدتُ كفي وانتشلتُ ثيابكِ الزهرَ ،
انتشلتُ عيونكِ الخضرَ .
انتشلتُ عذابَ حبي .

في الليلِ كنتُ أجوسُ ما بينَ انتمائكِ
واغترابي .

كانتِ الأيامُ مشحوفاً ،
وكنتُ ضليلاً بالشوقِ ،
كنتُ صريعةً بالوجدِ ،
قلتُ . . صديقتي الدخانُ يشفيها
وشايُ أبي الخصبِ
على امتدادِ صرائفِ الجوعى .
تفيضُ عيونهم بالحُبِّ ،
كنتُ أضمتهم لهفى .

أشمتُ ترابَ أيديهم ،
وأقسمُ جائعٌ قلبي لأن تتبادلَ الفرحَ المدمى .
مثلكم قلبي :
يفتحُ راحتيه ويمطرُ الدنيا
ويقبضُ راحتيه ويوقظُ الدنيا
وقلبي مثلكم تعبٌ . . .
يصيرُ الجرحُ سكيناً بغابِ الوجدِ ،
ما بين الجدائلِ كنتُ أذبحُ في الأصيلِ
وكنتُ أبذرُ في ظلالِ النخلِ ،
أهٍ كنتُ أنمو .

*

مزهوة العينين :
هذا المدُّ يسقي قلعةَ العشاقِ
يهوي الأشعريُّ مع التظامِ الريحِ ،
قلتُ لشطكِ المبتلِّ :
إحذرْ صارياتِ الليلِ
قال الموجُ :

حين يزورني الدخانُ سوف يفجر الشجرَ
الذي طال اصطبارُهُ ،
في الطريق ضممتُ ما بين الحقولِ عيونكِ النجلِ
التي تغتالُ روحي ،
أه لكنني تعبتُ ،
وصارت الأحلامُ أشجاراً تُساقطُ وردةً
الفرحِ المجرَّحِ .
صارت الأحلامُ أسلاكاً تكهربُ جذركِ الممتدَّ
ما بين اشتعالكِ وانطفائي .
قلتُ للوجهِ المسخرِ
لابتياحِ ملذةِ الدبيبِ المرابينِ :
اغترابُ الشمسِ طالَ ،
وها هي الدنيا تجيءُ بها الينا
نفتحُ الأبوابَ تنهارُ الهياكلُ .
نفتحُ الأبوابَ يهوي الليلُ ،
هاكِ القلبِ ، هاكِ . . .
أشدُّ زنارَ الربيعِ بخصركِ الزاهي . ،

يُرفرفُ غصنُ جرحي في سماكِ
ويورقُ الوجدُ القديمُ ، وتبسمينُ . . !!

*

بالزهو تطلُّعُ ،
بالفخار تجولُ ما بينَ الخليجِ وبينَ واحاتِ
الرؤميلةِ طافحاً بالرفضِ ،
يشتعلُ البنفسجُ في خطاكِ ،
يلوبُ قلبي :
يا بهيَّ الطولِ مرَّ بشرفةِ المشتاقِ ،
يا زينَ الشبابِ ،
ألوبُ :
يا ذا الطلعةِ الغراءِ .
مرَّ بشرفتي .

الانتظار

بشطك يهزج الرياحُ ،
يا نهراً تفديه العيونُ ،
أطلُّ نافرةً أهزُّ دجلكَ ،
أُحرقُ في عيونهِ
شمعةَ الشوقِ المدلَّى ،
أنتَ يا شجرَ البنفسجِ خلفَ وديانِ العذابِ
يداكِ صاريتانِ ، يُفزعكَ انتشاءُ الليلِ بالحمَّى ،
ودجلةٌ ظاميءُ العينينِ ،
دجلةٌ كانَ لي وطناً ،
بنفسجةً بصدرِ الأرضِ ،
دجلةٌ كانَ إيماناً .
وكانَ الانتظارُ يلوُّ الأعتابَ ،
وجهُكَ كانَ عبرَ نوافذِ العمرِ الرماديةِ . .

يلوحُ كسرفةٍ قمراءٍ في غابةٍ .
بعيداً كانت الشاراتُ تحملني .
بعيداً كنت تقذفني .
بعيداً كنتُ أحملُ وجهك المذعورَ في عيني .
أحملُ حلمكَ الطفلَ الجميلَ
يُعيدُ لي زمنَ التفتُّحِ ،
عذبةً كانت ليالي الشوقِ
أطفأها الرمادُ ،
جميلةً عيناكُ ،
إذ تتموجانِ تفيضُ أوديةُ العراقِ ،
تُدِيرُ ساقيةُ العطاشِ خمورها .
العشاقُ ينتحرونَ ،
يشتعلُ النخيلُ ،
يُزلزلُ الثوارُ جذرَ البحرِ ،
أه يصيرُ شعري خيمةً ،
ويصيرُ قلبكَ واحةً ،
ويدايَ مئذنتين .

يا زمنَ النبوة مُرّ بي ،
الصحراءُ بالظمأ العتيقِ تلوبُ ،
بالظمأ العتيقِ تموتُ ،
أمسِ زرعتُ في واحاتها فلاً ،
ولا خبيرٌ .
وأمسِ خططتُ في أركانها وجهَ اليمامِ ،
فما أتيتَ ،
أقولُ .
خلفَ نوافذِ الليلِ الصدى مجرّحٌ قلبي ،
تلوبُ خطايَ في سوحِ المدينةِ
عبرَ قضبانِ الحصونِ أضْمُ وجهكَ
طافحاً بالشوقِ ،
أه . . أشتريكَ بلوعة اللوعاتِ ،
بالعصيانِ شرّدي الطغاةُ ،
وأشتريكُ !!

*

في الليل كنت أسألكُ الغادينَ عن نَبعينِ .
عن وطنٍ ولونٍ .
عن جذوركُ في عيونِ الريحِ ،
قالَ ليَ الحداةُ .
الليلُ لفَّ مشارفَ الواحاتِ
قلتُ .
تجئُ في الزمنِ الوضيءِ ،
تجئُ . فيَّ ،
وتُشعلُ الدنيا انتظاراً !!

الفتى شاذل

إلى الشاعر شاذل طاقة

تجاوزني الجُدُرُ المستفيقةُ
في كلِّ زاويةٍ من زوايا صباك .
تُحاورُني عن مجيئك ثانيةً
كيفَ تمَّ بلا طرقةٍ أو عتابٍ ،
يحاورُني الشجرُ الغضُّ ،
إني أخطُ غناءك فوق جذوعه .
يكبرُ . يكبرُ رجعُ الغناء .

*

وأحكي لوجهك
«هل أنت خائفٌ . ؟»
أحكي لوجهك قصة حبٍّ يموتُ بها العاشقُ الأولُ ،
الحزنُ منهمرٌ في ربوع صباك .
تقولُ المدينةُ .
جاء فتاي يضمُّ حبيبتهُ الليلَ ،

وجهك يصبحُ ديوانَ شعرٍ
وعيناكُ نافذتانِ لدربِ طویلٍ
هو الليلُ يحملُ وجهَ العروسةِ غضباً .
ودجلةُ يصفقُ كفاً بكفٍ .
ألا كيفَ مرَّ الفتى ؟
كيفَ غابَ . . !!
وأنتَ بعيداً تموتُ
قريباً .
وترسمُ خارطةَ الوطنِ العربيِّ
إلى الساقيةِ .

*

أسائلُ وجهكَ :
- هل أنتَ مغتربٌ ؟ ..
- لا .. ؟
هل تفقدتَ وجهَ العراقِ ،
سريرَ العراقِ ،
كفوفَ الأحبةِ تنفضُ عنكَ عذابَ وداعِ العراقِ . !

بقلب الأصيل رأيت الرباط تمدُّ صفائرَ حزنٍ
لبغدادَ ،

تنشرُ كفّ الرياحينِ فوق شواطئِ حبك
والوجعُ المرُّ كان يضمُّكَ ،
ينأى ،

ويحظى بك الآن وحدهُ .

يحظى بك الآن .

«في رحم كلِّ النساءِ

رسولٌ جديدٌ .»

*

وأفريقيا .

يا عروسةَ هذا الفتى العاشقِ

الملتفِّ بالسعفِ .

ضمِّي إليك من البردِ وجههُ ،

عاد الرفاقُ حزاني ، كأنَّ لم يكنْ بالعراقِ

أنيسٌ ولم يَسمرِ السامرونُ . !

*

وأسألُ ، يجرحُني الصمتُ :
كيفَ هو الموتُ خذني إليه ،
بلا ضجعةٍ
أكسر القيدَ ،
خذني إليه . . .
أرى الفارسَ الأسمَرَ اليزرُعُ الوردَ ،
كلُّ المغنينِ - قالوا - حواليهِ ،
رابيةُ الموتِ مزهوةٌ بالخزاني
رموا شوكتهم في رُبانا وراحوا .
أيا أجملَ الغرباءِ ،
أرى الغرباءَ برايةِ الموتِ قد أشرعوا
في إطارِ المحبةِ وجهك .
وجهَ الوطنِ .
وعبرَ عذاباتِ حبِّك ،
عبرَ التشردِ ،
عبرَ فلسطينَ تحملُ نارَ التغرِبِ
ثانيةً ،

قلْبُكَ الْآنَ جَذْلَانُ :
هَذَا رَحِيلٌ جَدِيدٌ وَلَيْسَ الْأَخِيرُ .

*

المدائن

شجراً صارت أناشيدك والحزن قمر
وشراعاً صار مندليك والصحراء بحر
وأنا أنت ،
وقلبانا نهر . .
فلة تشعل جذر الأرض أطفئها بنظرة
أيها النهر الذي يشعل قلب الأرض حسرة
أه . . أطفئها بنظرة . . !

*

- أيها الفارس هل خاصمتني . ؟
- أيها الفارس هل أرخصت حبي . ؟
إنني أضحك ، أبكي ،
حينما تكبر عيناك تصيران غيوماً .
وشجر .

وتُظَلَّانِ المَدِينَةَ .
إِنِّي أَرَقِصُ فِي الغَابَاتِ ،
أَغْتَالُ خَلَائِيَّ وَاجْتَثُّ عَرَوِقِي
إِنِّي اصْرَعُ بِالوَجْدِ جَذُورَ الأَرْضِ
مَنْ يَطْفِئُ نِيرَانَ حَرِيقِي ،
أَيُّهَا النَيْلُ الَّذِي يَسْكُنُ قَلْبَ الأَرْضِ
خَذْ شَطَّ العَرَبِ ..
وَامزِجِ الخَمْرَةَ نَاراً إِنِّي أَشْرَبُ ،
أَشْرَبُ ..
أَيُّهَا اللَّيْلُ الَّذِي يَحْضُنُ بِيْرُوتَ
وِغَابَاتِ حَلْبِ ..
هَآكِ بَغْدَادَ عَلى الغُوطَةِ تَنْثَالُ عِنَاقِيْدَ ذَهَبِ
أَيُّهَا النَهْرُ الَّذِي أَطْلَعُ فِي عَيْنِيهِ أَشجَارَ لَهَبِ ،
خَبِّرِ الشَّطَّ عَنِ الوَرْدِ الَّذِي يُشْعَلُ صَحْرَاءَ النَقْبِ
إِنِّي أَنسِفُحُ اللَّيْلَةَ فِي قَلْبِكَ نَاراً وَينَابِيعَ وَظِلًّا .
إِنِّي أَنبِسُطُ اللَّيْلَةَ أَرْضاً وَأَمَلْ ،
وَأَنَا أَفْتَحُ عَصراً خَلْفَ قَضْبَانِكَ ،

يا أسوارَ حبي
هاكِ قلبي .
وافتحي الكوةَ تغمركِ فوانيسُ انتظاري
إنني أحملُ أشجارَ وبترولاً العراقِ
وقناديلَ الغدِ المزهُوِّ ،
والحبِّ الذي ليس يُطاقُ . .
إنني أنبتُ في كلِّ خلاياكِ وأزهو ،
أيُّها الوجهُ الذي أحملهُ عبْرَ صُعودي
إنني اكْبُرُ ،
أمتدُّ على شطِّي محيطكِ والخليجِ
أيُّها الوردُ الذي يطلُّعُ في الساقيةِ الحمراءِ ،
في أقصى بلادِي .
إنني اشتاقُ يا وردَ بلادِي .
وأنا أزهرُ يا فارسَ حبي .

*

الأبواب

ويطلُّ وجهك يفتحُ كهفَ الجُناةِ ،
ويطلُّ وجهُ الفدائيِّ يفتحُ بابَ دمشقَ ،
يفجِّرُ سوراً تطاولَ ما بينَ رَفْضي ،
وحنظلةٍ قاتلةٍ .
وتطلُّ بينَ صخورِ الشمالِ عيونُكَ ،
تطلُّ بينَ الجليلِ وعكا ،
وينهمرُ الثلجُ ،
ينهمرُ الثلجُ ،
أسقطُ ما بينَ وردِ الغضا والغضاضةِ ،
عدتَ غريباً ،
نسيتَ ملامحَ وجهي
وأنكرتَ عينيَّ في دربِ رحلتِكَ الثامنةِ .

*

أتنسى منابع الاسكندرونة ،
تنسى انتفاضة وجه العذارى بشاطئ حيفا . ؟
حزمتُ حقيبةَ عمري لألقي بها في بحيرة عينيك ،
هذا الضنى متعبٌ .
والهوى متعبٌ ،
والنداءُ بوجهك يسترجعُ السمرةَ العذبةَ ،
الليلُ نافذتا عنفوانٍ .
وقلبي يصبحُ مرَّجلاً وجدٍ . .
فينتحرُّ الوردُ شوقاً
وتنسى النوى أننا توأمانُ . !

*

تجيءُ إليّ ،
الصخورُ رمالٌ يُفتتها الوجدُ تحتَ صواريخك ،
كلُّ الكهوفِ تصيرُ حقولاً
وكلُّ الرصاصِ يصيرُ بذوراً
وكلُّ الشجرِ ،
سيزهرُ ما بين عمانَ والناصرهَ .

*

بليلِ غيابكَ يا أيُّها المستضيءُ

بومضةٍ حبي .

بليلِ غيابكَ كانتُ مرايا النجومِ تمتدُّ الجناحينِ نحوي

فأبصرُ فيها عذابكَ يندى ،

وأبصرُ جدولَ شعري يصيرُ غطاءً ،

يدفئُ صدرَ الفدائيِّ ،

وجهَ الفدائيِّ ،

قلتَ :

يصيرُ غمائمَ دفاءٍ تُظللُ جندَ العراقِ .

.....

اليكَ يدي امرأةٌ من سفوح العراقِ ،

تضيقُ بأوديةِ الوطنِ العربيِّ ،

تقاذفُها الريحُ ما بين مكةَ والقدسِ

ما بينَ عمانَ والعسلِ المرِّ

ما بينَ كلِّ طقوسِ الخليجِ .

وتسقطُ ، تنهضُ ، تُنفى

وتُقسمُ إنكَ أجملُ منفى ،

وأنتَ وضيءُ كلغمٍ يُفجّرُ بترولاً حيفا
وأنتَ نديٌّ كموعدٍ حبّ .

*

طلوعكُ حلمٌ يلوبُ طويلاً . ،

يغيمُ طويلاً .

ويبعثُ في ومضةٍ بارقةٍ .

أغنيكُ ؟

هذا المدى يشربُ اللحنَ بيني وبينكُ ،

والسرُّ يبقى يفتّحُ وجهَ الزهورِ المحالةِ ،

يومضُ برقاً محالاً . .

إليكُ يديّ

فعبّرَ مساحاتِ حبكُ أشعلتُ عمري ،

وحينَ تدلّتُ غصونُ النجومِ ارتقيتُ إليكُ ،

وأشعلتُ كلَّ رياحينِ مملكةِ الله ،

كنتَ تفتّحُ أبوابَ بغدادَ ، سيناءَ ، والشامَ

كنتَ . . .

وينظفيءُ الوهمُ في الطلعةِ الظافرةِ .

*

تجبيء . وتذهب ،
تغدو المنافي ملاعب ،
يغدو التوحّد فيك انبعائاً ،
أيا وجع الأرض ،
ينفجرُ البحرُ تحتَ صواريخك وجدا
ويشتعلُ الرملُ إثرَ اختيارك عشقاً
فموتك يفتحُ عصراً جديداً
ويفخرُ لغمك أن ينتمي بالخيارِ إليك ،
وأنتَ أنتَ العناقُ الأخيرُ .

الاختيار

أُعْطِيكَ سَنبِلَتِي وَزَنْبِقَتِي عَذَابُ
أُعْطِيكَ هَذَا اللَّيْلَ أَنْجُمُهُ صَبَايَا
بِاللَّالِيءِ يَزْدَهِيْنَ وَبِالشَّبَابِ . .
أُعْطِيكَ مِرْوَحَتِي
وَصَيْفَ مَدِينَتِي
وَرَدَائِيَ الشَّتْوِيَّ
وَالجِسْرَ الَّذِي يُؤْوِي بَقَايَا الشَّمْسِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ،
مَتَعِبًا كَانَ الْغَدَاةَ ،
وَدَدْتُ لَوْ تَغْتَالُ وَجْهًا تَأْكُلُ الْغُرْبَانُ مِنْ عَيْنِيهِ ،
وَالطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ ،
النَّسُورُ تَدْكُ جَبْهَتَهُ ،
وَأَه . . وَدَدْتُ لَوْ تَغْتَالُ وَجْهَ اللَّيْلِ ،
مَلْقَى فَوْقَ صَدْرِي ،

خُذْ يَدِيَّ أَجِيءُ بِالشُّوقِ الَّذِي
تتفجّر الأحلامُ في عينيه ،
يا حَسَكَ الجزيرةِ ،
يا نوافذَ فجرها الممتدِّ ما بين الفراتِ
وبينَ ريحانِ الخليجِ ،
ويا ترابِ العمرِ ،
أه أَجِيءُ بالحزنِ العريقِ
يُريقُ شوقَ البرتقالِ ،
يُفجّرُ اللغمَ القديمَ ،
يضيءُ بالبتروولِ ، كي تتفجّرَ الدنيا
وتستلقي الدروبُ ،
بوجهكَ الفتانِ عطرُ اللهِ ،
يا وطنَ الهوى والموتِ ،
جائئةٌ أنا والنخلُ ملءُ رباكِ ،
عاريةٌ أنا والنفطُ ملءُ ثراكِ ،
ظامئةٌ . . .
وقلبي نخلةٌ بمشارفِ الدنيا ،

أيا وطنَ الليالي السودِ ،
أجملُ منك هذا الموتُ فيكَ
أحبُّ من عينيكَ هذا القتلُ والتشريدُ . .
كي نفديكَ ،
تطلعُ ها . أراها .
في ذرى الجولانِ ،
في سيناءَ ، في أمِّ العقاربِ
أوجهُ الأحبابِ ،
شبتَ أذرعُ الشهداءِ أغصانا . .
تُدلي النارَ والريحانَ .
قلتُ : تعالَ في تشرينَ ،
يا شجرَ الغدِ المزهوُّ يُثمرُ . .
يا ندورَ العمرِ ،
يا وجعَ السنابلِ في القطافِ المرِّ
قلتُ . . أخافُ وجهكَ ،
كم أخافُ .
أهديكَ سنبلتي وأحزانَ القطافِ . . .

وأقولُ يا عِينِكَ . ،
يا قنديلَ وجهكَ بانتظارِ غدٍ أنا
وأراك وحدكَ لا خيارُ . . !

*

طيور الشمال

متلفعُ بالحزن ليلك يا طيورَ الماءِ ،
من بالأمسِ غنى . !
كدتِ لا تتذكرينَ ،
وكدتُ أنسى .
يا طيورَ الفجرِ مَنْ بالأمسِ غنى ،
الأرضُ تزهُو مرةً أخرى ،
المرايا تستفيقُ نقيّةً كالحلمِ ،
وجهكِ طافحُ بالشهوةِ الأولى ،
وأنتِ جميلةٌ كغمائمِ الواحاتِ ،
وجهكِ زينةُ الدنيا ،
المنافي تستريحُ على يديكِ ،
تفتّحُ الأشجارُ أعينها ،
ويهوى الليلُ ،

يهوى الليلُ ،
يا لهباً يُطاولُ مقلتيك لينطفئ في الظلِّ ،
ومضة قلبك النديان تنضح في العروقِ
نضارة التفاح ،
رُغمَ الشوكِ والنيرانِ ،
رُغمَ مرارة العصيانِ ،
تنضحُ وجديَ الأبدى ،
مُلقيَّ في وهاكِ قلبي الولهانُ
فلتجدي له في الظلِّ مَرسى .
هاكِ منديلاً عليه جبالُ كردستانِ خضراً
هاكِ ليلاً فيه تنسربُ النجومُ إلى الغصونِ ،
تضئُ للعشاقِ ،
هاكِ وعولَ كردستانِ أضمرها الهوى ،
أواهُ أضمرني .
فهاكِ يدكِ . !
هاكِ ..

*

تتموّجُ الأصداءُ في قلبي ،
ونبعُ في الشمالِ ،
يقولُ . لو تأتَيْنَ ،
قلتُ أخافُ وكرَ الليلِ ،
قالَ . بلا بلُ الفجرِ التي أحببتِ عادتُ ،
كيفَ لا تأتَيْنَ ؟
قلتُ . أخافُ ثعباناً يلفُ الغنوةَ البكرَ التي غنيتُ .
قالَ الجدولُ المنسابُ :
جاءَ هنا الصغارُ ومرّغوا بالرملِ شوقَهمو
وعادَ هنا الكبارُ وأطفئوا بالحبِّ سرّهمو .
وجاءَ الصحوُ .
جاءَ الصحوُ .
عانقتُ الطيورَ ،
وخضرةَ الصفصافِ . . .
والنجمِ المولّعِ ،
مطفأً كانَ الغداةَ ، وأنتِ لا تأتَيْنَ .
تنتشرُ الزنابقُ في الوهادِ .

وظامئُ ماءُ الشمالِ إلى يديكَ ،
وظامئُ وردُ الشمالِ لوجنتيكِ .
وجوهُ أحبابي التغيُّبهم ليالي الموتِ ،
تطلُّعُ في الأصيلِ ،
ويمطرُ النبعانِ في عينيكِ زهواً ،
يمطرانُ !!

*

لحمامةِ الغدرانِ رجعُ يستبيكِ ،
يبيعُ في سوقِ العذابِ بهاءَ وجدكِ ،
يسكنُ الأعصابَ ،
يزرعني الصدى ورداً بوجهِ الأفقِ ،
أدخلُ كهفكِ المسكونَ بالنعناعِ ،
ما بيني وبينكِ موعدٌ يلتاغُ ،
مَنْ شربَ الجداولَ . ؟
مقفرٌ وجهُ الربيعِ ،
خذي انتفاضةً حبي المذبوحِ ،
أيتها الجميلةُ . صامدٌ شجرُ الشمالِ ،

وصامدٌ مجرى الجداولِ ،
صامدٌ حبي ،
فهاكِ يديَّ
هاكِ يديَّ
تنتفضُ المياهُ وتزهَرُ الربواتُ .
قالتُ قِمةً للنهرِ .
دانيةٌ هي الغيماتُ ،
كنتُ رحلتُ يوماً في هياجِ الريحِ ،
كنتُ دخلتها وشهدتُ في أبراجها الجندَ
الذين تسربلوا بالدمِّ . .
كنتُ شهدتُ في شطآنها الأطفالَ
مشرعةً كفوفِ الريحِ ،
مشرعةً عيونِ الزهرِ ،
يا زمنِ العذابِ .

*

تتفتَحُ الدنيا ،
ووجهكِ طائرٌ ظمآنٌ ،

يوجعك اشتعالُ الدغلِ في قلبي ،
ويَسحُقُنِي التماعُك في مراسي الظلِّ ،
لوحِي في هجيرِ العمرِ ،
لوحِي رايةً بمشارفِ الصحراءِ ،
لوحِي نجمةً في الماءِ
غصناً في جبينِ شهيدكِ المزهوِّ ،
يطلُّعُ في الأصيلِ ،
ويصدحُ النبعانِ في عينيكِ ،
أهٍ يهزجانُ . . !

*

ورقات مشتعلة

- ١ -

لو تُبصرُ جُبَّ الحزنِ بهذا القلبِ
وقروحَ جراحِ الحزنِ بهذا القلبِ
والهمَّ الشاتي اللائبَ عبْرَ القلبِ
لمنحتَ الأوسمةَ الخضراءَ لغيرِ ملاكِ الرفقِ
وهوتَ أشجارُ الزقومِ
خاويةَ العرقِ .
ولأشرقَ كلُّ الشجرِ الأخضرِ بالدمعِ
يا مطفئِ كلِّ الشمعِ .
منْ حولي . كلِّ الشمعِ
تعبتُ غزلاًنُ العرشِ من الصمتِ .
تعبتُ أحلامُ القلبِ من الصمتِ .
من حولي تعبَ الصمتِ .

أَتَضَرَّعُ خَلْفَ السُّورِ :
لو اُحَدُّ يَصْرُخُ فِي هَذَا الْوَطَنِ الْمَهْجُورِ .
لو يَزْحَفُ ،
يَزْحَفُ هَذَا الشَّعْبُ الْمَقْهُورُ .
كِي يَسْقُطَ وَجْهَ الْمَسْخِ .
كِي يَغْسِلَ فِي عَمَانَ الشَّمْسِ
كِي يَرْفَعُ مِنْ لَجَّةِ هَذِي النَّارِ .
قَلْبِي الْمَشْوِيِّ بِبِرْكَانِ الرَّفْضِ
إِنِّي لِأُحْسُ الْأَرْضَ تَمُورُ ،
الْأَرْضَ تَمُورُ ،
الْأَرْضَ تَمُورُ .
يَا كَلَّ الْأَوْثَانَ بِسَاحَاتِ الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ
حَتَّامَ تَظَلُّ الصَّحْرَاءُ الْعَرَبِيَّةُ صَحْرَاءُ . ؟
حَتَّامَ تَظَلُّ . ؟
حَتَّامَ تَظَلُّ ؟
أَتَمَرِّقُ فِي هَذَا الدِّيَجُورِ
لو اُحَدُّ يَمْنَحُ نَفْحَةَ ضَوْءِ هَذَا الدَّرْبِ

يا وجهاً يطلُّعُ فيه الوردُ
قطّعتني البعدُ ..
يا وطني ،
يا وطنَ الحبِّ أذلّ البعدُ الشوقَ فخذني ،
خذني إليك .

- ٢ -

في فراغِ الوطنِ ،
في فراغِ البيوتِ ، الألوْفِ ، الملايينِ ،
أصرخُ يا مستباحِ الديارِ تمطّأ ..
وألقِ على سارقيكَ .
على المترفينَ بعقرِ نعيمكَ
ألقِ حجرُ !!

- ٣ -

مرةً أُخرى يجيءُ المدُّ من شرقِ المدينةِ ،
أين ترحلُ ؟

كيف ترحلُ . ؟

ذكرياتُ الأمسِ شاخصةٌ . .

تؤججُ خطوكَ المزهُوقِ قلُ :

لا .

أهِ قلُ : لا

أنتَ قلُ .

ويصيرُ قلبي في قواميسِ الهوى حقلًا

ونارُكُ جدولًا

والحبُّ ينمو .

- ٤ -

مشرعُ بابِ دمشق

وأنا الليلةَ عُرسِي بدمشق .

وعراقيُّ حبيبي دخلَ اليومَ دمشق

وأنا طرّزتُ ثوبًا لدمشق .

أهٍ مَنْ اسكتَ فيروزَ على بابِ دمشق .

أهٍ مَنْ اخرسَ موسيقى الوطن .

- ٥ -

لأنَّه الدُّخَانُ يا سِيناءُ

لأنَّه الدُّخَانُ

مِنْ كَبِدِي ، وَالْقَلْبِ ، مِنْ عَيْنِي

لأنَّه الدُّخَانُ . .

ما حيلتي .

ما حيلتي إذ لم أجد للغم من أرضٍ ،

سوى قلبي !

- ٦ -

لا شيءَ كي نقولُ .

فالصمتُ سرنا القتلُ

والصمتُ داؤنا

ونحن نلتاعُ بلا أشواقٍ .

والحبُّ مجزرةٌ ،

ونحنُ مذبحونُ

والصمتُ لا يُطاقُ !

- ٧ -

حينما مرّت على عينيّ عيناكَ
ذرتُ شوقاً بقلبي
وتوسّمتُ ربيعاً عاطرَ الخصبِ ،
توسّمتُ قطافَ النجمِ ،
أه سيدي ما كنتُ أدري .
أنّ ذاكَ المرضَ الفتاكَ فينا .
سرطانَ العصرِ يا مولاي فينا .

- ٨ -

أيا وطني المستريحَ على غيمةٍ من رماذٍ . .
ستدركُ حين ستمطرُ هذي الدقائقُ
أنّ الرصاصةَ أذكى ،
وأن التواريخَ سوف تُعادُ .

- ٩ -

لو أنني أعرفُ حملَ السلاحِ

لو أنك أهديتني بُدقيةً
لكنتُ حميتُ حديقةَ قلبي
ولكنني يا رفيقي .
سقطتُ شهيدةَ حبي .
بأولِ دربِ الكفاحِ .

- ١٠ -

يا وطني . يا وطني الكبيرُ
الصبرُ هذا شائكُ المذاقِ
ورحلتني إليك . .
طويلةً ، طويلةً
وأنني لو أملكُ السكينَ ، أو أمتلكُ الذراعَ .
لكانَ الانعتاقُ . .
لكنني لا أملكُ الشراعَ
والريحُ ،
أهَ الريحُ . .
غرارةً . غريرةً .

الرّدة

في ليل النصرِ وكنْتُ أضْمُ إليَّ الأرضُ
عريانةً تحضنُ زهوَ المنتصرينَ .
كانتُ أزهارُ الرّفْضِ . .
تساقطُ شوْكَاً مجروحَ العِرْقِ
يا وطني المذبوحَ بإكليلِ النصرِ .
النصرُ ،
النصرُ ،
النصرُ متى ؟

*

يتشاءبُ فيّ الحلمُ الغافي . .
يتمطّي ،
يقذفُ رجلَهُ خارجَ صدري
تَقْصِفُ وجهَهُ طائِرةٌ آتيةٌ من جهة الشرقِ ،

آتيةً من صوبِ العمقِ
آتيةً منك ، إليك ،
الحلمُ يلمُّ الأطرافُ .
أولَ ، ثالثَ ، عاشرَ مرةً .
الحلمُ ينثُّ عذاباً في عينيكَ ،
ويُلقي آخرَ نظرةً .
أفتحُ إثرَ الطريقةِ بابي .
تغتالُ القلبَ رصاصةُ رشاشِ صديانِ
شبَّت في صدري حقلي ريحانُ .
شبَّت أغصاناً ،
واحاتٍ ،
دهليزاً أخضرَ يعبرُهُ الشهداءُ إلى برجِ الإنسانِ
صارَ الحزنُ نواعيرَ تؤرجحني أعلى ، أسفلَ ،
تاسعَ ، عاشرَ مرةً .
كيسنجرُ يأتي ، يذهبُ ،
يرسو ، يطفو ،
تقدفُهُ الريحُ على الضفةِ الأخرى .

يا جرحَ الثورةِ ،
يا جرحَ الثورةِ .
كيفَ أشدُّكَ . ؟
أينَ أظلكَ . ؟
قلْ لي .
قلْ . يا جرحَ الثورةِ . . !

الوطن

- ١ -

يتغلغلُ حُبُّكَ في قلبي .
كجذورِ صنوبرةٍ فرعاءً .
يتفتِّحُ حُبُّكَ في قلبي
كنجومِ الصيفِ البريَّةِ
يتمشَّى عطرُكَ فيَّ
كالليلِ الرطبِ بغابِ الوردِ
يا كلَّ المحرومينَ التعبى
هزوا النخلةَ تُفتحُ خيمةَ وعدِّ .
هزوا النخلةَ تُرفعُ رايةَ خُلْدِ .
يا وجهَ الفرحِ الآتي .
عذبٌ جرحكُ ،
منطرحٌ قلبي في فلواتكُ يا أجملَ حبِّ .

*

- ٢ -

وأموتُ فيكَ بلوعتينِ :

قديمِ حبِّكَ ، والجديدِ .

من قالَ : قربُ الدارِ خيرٌ ؟

كنتُ في الحالينِ ظمأى . . .

أستغيثُ ولا أغاتُ .

وكنتُ أذوي ،

كنتُ أذوي ،

أستجيرُ بذِي العيونِ تُشعُّ عن بعدِ عيونك والوجهُ ،

غراءُ تعكسُ لي جبينك ،

والجراحُ تمدُّ لي كفينِ من نارٍ وخبمرٍ ،

أيها الصيفُ الربيعيُّ الجميلُ :

تعال . فتحتُ الربى الخضرأ أعينها .

وأشرعتُ انتحاري فيكَ

يا خمراً تجرّحني وأشربها ،

وتنفيني وأسكنها .

وأعبدُ لوعةَ الشوقِ الذي بهواك يصرعُني

أيا وطني .
أيا وطني .
أقول لوجهك الفتانِ :
أه لو تعلمني السبيلَ إلى التصبّر .
لو تعلمني السبيلَ إلى التوحّد .
لو تعلمني التوسطَ في عذاب الوجدِ ،
يا وطنَ العذابِ .

*

المقاتل

تعالَ يا رفيقي .
أواهُ . ، بل أجيءُ .
أنا إلى عينيكُ .
منزِعُ قلبي على كفيكُ .
قنبلةً صغيرةً ،
رصاصَةً صامدةً صغيرةً .
شجيرةً مكينةً الجذورُ
أجئُ أيُّها الرفيقُ .